المرأة الأحسائية والعمل الوقفي

محمد علي الحرز

يتربع[1] الوقف على قائمة الأعمال الخيرية التي تسهم في بناء وإعمار المجتمع، فالوقف عصب يغذي العديد من مؤسساتنا الدينية والاجتماعية، ويمدها بالمال، ويحافظ على استمرارها، ويمنحها الاستقلالية والمنعة، دون منة أو تفضل من أحد. من هنا يكتسب الوقف – على مدى التاريخ – أهميته ومكانته بين القضايا التعبدية الأخرى.

ومن أجل ما يميز الوقف عن غيره – إن أعطي مكانته الحقيقية ودوره الذي ينبغي أن يتبوأه – أنه يدخل في كل ما يصب في مصلحة الإنسان، ويمنحه الثقة بدينه، ومعتقده، ويعالج مشاكله المادية والنفسية والفكرية والعلمية والاجتماعية، فهو – في نفسه –يحمل أفقاً واسعاً، وجوانب متعددة العطاء، لولا تضييق الناس أنفسهم وحصره في جانب أو جانبين، وإهمال الجوانب الأخرى للوقف، ناظرين إليه بعين ضيقة، رغم رحابته الواسعة التي منحه إيَّها الإسلام بجعله من المنح الربانية لعباده المؤمنين؛ للرفع من شأنهم، ورفع العوز عنهم.

هذه النظرة الشمولية للوقف ودوره المنوط به هي مؤشر على مدى الوعي والإدراك لمكانة الوقف وفريضته في الدين الإسلامي لدى المجتمع بشقيه الذكري والأنثوي.

فالعمل والنشاط الوقفي ليس حصراً أو حكراً على الرجل دون المرأةن بل إنَّ النساءَ شقائق الرجال في الهم والفهم، وفي جميع أنواع الوقف – سواء بسواء – مع الرجل، فالوقف نفعه وريعه ليس محصوراً على طبقة دون طبقة، وإنما نفعه وخيره يعود على المجتمع كافة بالخير والازدهار.

فالنظرة التفقدية على محطات التاريخ الإسلامي تظهر هذا الدور الكبير للمرأة وتفاعلها مع المسألة الوقفية، وأنها لم تكن بمنأى عنه، أو عن إدراكها لأهميته لها وللمجتمع كافة، فمستوى الوعي لديها والحس الجمعي لم يكن بمعزل عن محيطها، وما يدور من

[1] مقال نشر في مجلة الواحة العدد (٦٢) .

حولها، ولكن الشيء المؤسف أن معظم من تناول موضوع الوقف كان يتغافل عن هذا الدور النسائي الذي قد تتفوق المرأة في أصعدته على الرجل، فالشواهد التاريخية تثبت أنها كانت ذات دور في تنمية المجتمع من جهة، وإدراك حاجة المرأة للوقف من جهة أخرى، في مختلف العصور الإسلامية، وهذا ينطلق منذ صدر الإسلام وحتى الوقت الحاضر، حيث زادت المرأة وعياً وإدراكاً لأهمية الوقف، حيث أظهرت دراسة كمية للأوقاف الكبيرة في العالم الإسلامي ، إن ٢٥٪ من الأوقاف أنشأتها النساء، بل امتد دورها ليشمل، أيضاً، النظارة عليها، إذ عينت ناظرات من النساء على ١٤٪ من الأوقاف[١].

وهذا الدور الفاعل ، والصفحات المضيئة للمرأة في العمل الخيري ، يتوافق مع طبيعتها الحانية ، وما جبلت عليه من خير ورحمة ، وقلب محب للآخرين ، وهذا يتوافق مع أثبتته الدراسات العلمية ، عن دور المرأة في الوقف الخيري ، في مختلف الحقول الخدمية والدينية .

وعن هذه الحقيقة المتعلقة بوعي المرأة الديني يقول الدكتور إبراهيم غانم في دراسته عن الأوقاف إلى أن إجمالي عدد أوقاف النساء لصالح الأزهر يبلغ ٤٨ من أصل ١٦٣ وقفية ، أي بنسبة ٢٩٤/٤٤٪ ، من إجمالي الأوقاف الموقوفة لصالح الأزهر ، لكن نسبة إسهامها من إجمالي إيرادات الأزهر السنوية بلغت حوالي ٤٧٧/٧٥٪ حسب ميزانية ٤٠ – ١٩٤١م ، مما يشير إلى ضخامة أوقاف النساء رغم قلة عددها[٢] .

هذه الصفحات المشرقة من الوقف نسائي في مصر ـ أو في العالم الإسلامي العام ، يعكس مكانة المرأة وموقعها من المساحة الجغرافية العامة ، ليسرى على المرأة الأحسائية التي هي جزء من ذلك العالم الكبير .

المرأة الأحسائية والوقف

[١] المرأة والوقف ، إيمان محمد الحميدان ، الطبعة الأولى : ١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م ، الأمانة العامة للأوقاف : الكويت : ٢٥
[٢] المرأة والوقف ، مصدر سابق : ٢٨ .

وللمرأة الأحسائية كما للرجل شأن وشغف كبير في مسألة الأوقاف وأحيائها، وتفعيل دورها في البلد، فقد ساهمت في الحركة الوقفية بفاعلية كبيرة، وتعددت أدوارها فيها بمقدار وعيها وثقافة عصرها الذي عاشت فيه، فقد بذلت مالها وملكها من أجل الوقف، وتجاوزت ذلك لتشارك في النظارة عليه، ومتابعة تأديته لدوره، وما أوقف من أجله، وهذا نابع من ثقتها بنفسها، وأنها تمتلك القدرة على منافسة الرجل في إنجاح الوقف، ومتابعة مسيرة تقدمه.

هذه المشاركة من قبل المرأة في العبادة الوقفية يظهر عدداً من الجوانب المهمة في طبيعة المرأة الأحسائية والوقف لعل من أهمها:

- إن نسبة الوعي الجمعي لدى المرأة الأحسائية لا تقل لديها عما لدى الرجل بضرورة المشاركة الجماعية في كل ما يسهم ويرفع من شان المجتمع، دينيًّا واجتماعياً.

- إن المرأة الأحسائية تتحسس آلام الآخرين، وتدرك ما يدور في المجتمع من حاجة وعوز لدى الأسر الفقيرة التي لا يمكن أن تعيش هانئة إلا بدعم ومساعدة من المجتمع الذي يحيط بها.

- إن نعمة التدين والتربية الإسلامية في الحفاظ على استمرار هذه الفريضة العبادية، والشعيرة الدينية (الوقف)، أمر مشترك لا يختلف اثنان في أهميته، سواء من الرجال أو النساء، وقد أثبتت المرأة الأحسائية ذلك.

- إن مسؤولية بناء وتقدم المجتمع أمر جماعي، لا يمكن أن يتقدم في جانب ويتخلف في جانبٍ آخر، وقد استطاعت المرأة الأحسائية من خلال مشاركتها في العمل الوقفي إيجاداً وإدارةً، أن تعطي نفسها موقعاً خاصًّا في العملية التغييرية، والتنموية في المجتمع.

- إن المرأة الأحسائية تمتلك القدرة الإدارية والفكرية في إدارة الوقف، وتحمل أعباء النظارة والإدارة بمستوى لا يقل عن الرجل، رغم العادات والتقاليد القاسية التي تقلل من حركتها ونشاطها.

وقبل الولوج فيما قدمت المرأة للوقف، يجدر بنا أن نوجه جزءًا من العنايـة بـما قدمـه الوقف للمرأة، لكونها من المجتمع كما يجب عليهـا أن تعطـي يتعـين لهـا اجتماعيًّـا أن تأخـذ وتستفيد من آفاق الوقف الواسعة.

الوقف في خدمة المرأة

الوقف الأهلي الخاص بالمرأة (الذري)

ورد في الحديث النبوي الشريف : " إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاثة ، إلا من صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له " .

وعن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال : " لا يتبع الرجل بعد موته إلا ثلاث خصال: صدقة أجراها لله في حياته فهي تجري له بعد موته، وسنة هدى سنها فهي يعمل بها بعد وفاته، وولد صالح يدعو له "[1].

والوقف على الأبناء وإصلاح شأنهم ، من المصاديق الوقفية المحفزة للأبناء على ذكر الآباء والدعوة لهم ، كما الوقف عليهم صدقة جارية يؤجر فاعله ويثاب عليه ، والذرية من البنات يشملهم الحديث في معانية التي تحفز على الدعاء .

ولم يغفل الواقفين في الأحساء في شملها برعايتهم الوقفية ، وتخصيص بعض أوقافهم على ذريتهم من الإناث خاصة ، فأوقف بعض الأوقاف عليها، ومن أجل خدمتها، فقد أوقف الحاج إبراهيم بن علي البحراني (١٨) مرزعة، و(٤) بيوت، ودكانة واحدة، على ذريته من الإناث مختصاً لهنَّ دون الذكور، وجعل ولايتها لها عليه.

وفي كثير من أوقاف الذرية، أو لنقل النظرة العامة للوقف الذري أنه مختص فقط بالذرية من الذكور، وتهمش المرأة من الاستفادة منه، رغم الحاجة الكبيرة التي تمر على المرأة خصوصاً الأرامل والمطلقات العوانس اللواتي يجدن أنفسهن ضائعات مشتتات يبحثن ويستجدين العون لولا يمنعهن الحياء، وهنا يأتي دور الوقف لرفع الحيف والظلم عن المرأة، ويحافظ على كرامتها وعزتها دون الحاجة للآخرين.

---

[1] الكافي ، محمد بن يعقوب الكليني : ٧ / ٥٦ .

الوقف المشترك

ونعني به الوقف الذي تكون المرأة أحد المعنيين والمستفيدين من الوقف، ويشملها ريعه دون أن يكون مختصًّا بها، وهذا النوع من الوقف أمثلته كثيرة، نذكر منها على سبيل المثال:

وقف السيد علي بن محمد بن أحمد وهو عبارة عن (الشطيب الشرقي) من (أبي أحمير) الكائن بطرف القارة على ساقية نهر (البطيح) من نهر سليسل.

الموقوف له: ابنه لصلبه السيد محمد ومن تناسل منه ذكوراً وإناثاً بطناً بعد بطن، فإن انقرضوا فعلى أخيه السيد عبد الحسين ومن تناسل منه، وتاريخ الوقف يعود إلى ١٨ محرم ١١٥٥هـ.

فقد حمل الوقف في طياته عنصر المساواة بين الذكر والأنثى في الاستفادة والانتفاع من نتاج الوقف بين أفراد الذرية، وهو، كذلك، يعطي المرأة مكانة واكتفاء ذاتيًّا نسبيًّا يصون لها كرامتها في أوقات العسر والعوز، وبعض النظر عن مقدار خراج الوقف، وما يوفره من مال للذرية من الجنسين، فالذي يهمنا منه ما يحمل من روح التكافل الاجتماعي، والشعور بالمسؤولية تُجاه الأبناء واليوم القادم المجهول لهم ذكوراً وإناثاً.

دور المرأة في خدمة الوقف

تتشعب أدوار المرأة والوقف ومجالات عطائها فيه بكل فروع الوقف وتوجهاته والتي من أبرزها الولاية على الوقف، بما تعنيه من مسؤولية تحتاج إلى حسن إدارة، وإلى تأسيس الوقف والمساهمة فيه سواء على نحو مستقل أو مشترك، ولكن لمحصلة أن المرأة لم تُدر ظهرها للوقف، ولم تقف مكتوفة الأيدي، دون أن تساعد في العمل الديني والاجتماعي في الوسط الذي تعيش فيه، والمرأة الأحسائية، أدركت أهمية الوقف ووعت مكانته الكبيرة، وكانت شريكة للرجل فيه وإن لم تخدم المصادر والوثائق كثيراً في ذلك، ولكنها أعطتنا نماذج عن المرأة والوقف في الأحساء، وأنه لا يشكل آخر اهتمامها، وأن بصمتها فيه واضحة.

ولو أردنا استعراض دور المرأة الأحسائية في الوقف والجوانب المختلفة التي خاضتها، فإننا نلخصها في النقاط التالية:

- نظارة المرأة على الوقف

لم تكن المرأة الأحسائية في جميع أدوار الوقفية في موقع الاستفادة والانتفاع من الوقف، وإن كان هذا حق مشروع، وإنما جانب العطاء يعد بعداً مهمًّا في حياة المرأة الأحسائية؛ لما يكشفه من القدرة على الإدارة، وتحمل المسؤولية، وكيفية وضع الأمور في نصابها الصحيح.

وبقدر ما يكون حجم هذه المسؤولية على عاتقها تتجلى مكانتها الشخصية وما نالها من حجم الثقة.

وهنا من أبرز الشواهد على تولى المرأة الأحسائية موقع القيادة في إدارة الوقف، هو ما حازته آمنة بنت سلمان البحراني، من مدينة الهفوف، فقد كانت الولية والنظيرة على أوقاف الحاج إبراهيم بن علي البحراني المتعلقة بذريته من الإناث، ولسنا هنا بصدد الخوض في كيفية إدارتها للوقف ومدى نجاحها فيه، ولكن ما يهمنا أنها حازت المسؤولية خصوصاً

إذا علمنا حجم الوقف الذي هي ولية عليه، وهو - بحسب سجلات محكمة الأوقاف والمواريث بالأحساء كما يلي:

مزرعة (الضاحية، والدانية، وخديجة، والحصان، والشرب، وشرب حمد)، وهي جميعاً في قرية (بني نحو) المندثرة، ومزرعة (الضاعي، وأم الهدى، والقونع، وقطعة العمار، وسبيع، وصبيخه، والعروق، والكبروية)، وهي جميعاً في منطقة الموازن الزراعية.

ومزرعة (السواقط، والعارض شمال، والعارض جنوب) في طرف الخدود، أما (الأويسط) فهي في أم خريسان.

كما أنها الولية على ثلاثة بيوت بحي الفاضلية من الهفوف، وبيت بحي الفوارس، ودكان بسوق المبرز. من هذا يتبين أن حجم المسؤولية التي على عاتق آمنة البحراني هي: (١٨) مرزعة، و (٤) بيوت، ودكانة واحدة.

هذا نموذج من إدارة المرأة للوقف، والعمل على إحياء دور الوقف، وإسهامها في بناء المجتمع .

أما الأوقاف المتوسطة، أو الصغيرة، فكان للمرأة الأحسائية إسهام واضح وجلي فيها، خصوصاً إذا كانت هي الواقفة رغبة منها في متابعة ما أوقفته وحبسته، وصرفه في المجال الذي خصته به، ونذكر هنا على سبيل المثال:

وقف المرأة المتميزة آمنة بنت عبد الله البغلي (في النصف الثاني من القرن الثالث عشر)، التي تعد أحد أبرز النساء الواقفات في الأحساء، وأكثرهنَّ شهرةً، سواء من ناحية الكم الوقفي، أو من حيث النوع، حيث كانت تمتلك أفقاً واسعاً في دور الوقف، وضرورة التنوع فيه بما يخدم حاجة ومتطلبات المجتمع، فمن الأوقاف التي أوقفتها وجعلت الولاية عليها لنفسها بيتها الشرقي الكبير الكائن بفريق (الجحاحفه) تابع الرفعة من الهفوف، والعقار المسمى بـ (أم الخباج)، وتسعة أسهم من العقار المسمى بـ (السبخة) نخل البغلي الكائن بطرف الرفعة على ساقية عين شبيب، وعين بو هلال، كما جعلت نفسها الولية على سبعة عشر سهماً من عامة خمسين سهماً من شرب مسلم، وشرب (السروال) الكائن بطرف

الموازن، كما وقفت جزءًا من شطيب (برقا)، على أن تكون الولاية لها مدة حياتها، ثم من بعدها لأمها (كلثم بنت حسن البغلي)، وإن رزقها الله ذرية صالحة تقوم بهذه الموقوفات، وإلا على علماء المؤمنين، عالم بعد عالم، وقد وقعت الوقفية في سنة ١٢٦٤هـ، على يد الشيخ محمد بن علي المازني[١].

فقد كانت ترى أهليتها على إدارة الوقف، وتصريف أموره، بما يتناسب مع مصلحة الوقف، الثقة التي أكدها العلماء المسجلون للوقف، بأن أخلاص المرأة وعزيمتها كافية وقادرة على تذليل الصعاب، وحفظ الوقف فيما أنشئ له.

ومن الوقفيات التي أثبتت المرأة الأحسائية كفاءتها وقدرتها الإدارية في تسيير شؤون الوقف وقف أم الخير آل حميدي، فقد أوقفت بيتها الذي في حوش آل بن شكر، وقد جعلت الولاية على ذلك لأمها، والوقفية وقعت في التاسع من شهر شوال سنة ١٢٥٠هـ.

كما هناك وقف مريم بنت عبد الله آل عيسى، فقد: (أوقفت وحبست جميع وجملة ما تستحق من النخل المسمى بـ (الأسداس) مزرع الأرز الكاين في طرف البطالية ساقية الجوهرية، وجعلت الولاية لها مدة حياتها، ومن بعدها لابنها علي بن محمد سالم أبي فراج)، في شهر ربيع الأول سنة ١٣٠١هـ[٢].

وهذه الأمثلة تقودنا إلى الاعتقاد بحرص المرأة على الوقف وخشيتها من أن ينحرف عن مساره الذي حددته له، وفي نفس الوقت رغبتها في الإشراف المباشر على الوقف، والمساهمة الفاعلة في خدمة المجتمع والعمل الديني، دون أن تقف موقف المتفرج السلبي غير الفاعل طالما لديها القدرة على إثبات كفاءتها الإدارية.

هنا نجد تنوع ولايتها بين البيوت، والمزارع والدكاكين، بما يتطلبه كلٌّ منها من متابعة مختلفة، ورعاية مستمرة، ومن ثم صرف الريع في مجال الوقف، وهذا نابع من امتلاك الثقة

[١] مجموعة وثائق الأستاذ فؤاد بن جواد بن حسن البغلي ٢ صفر ١٤٣٢هـ.
[٢] مجموعة أحمد البدر الوثائقية.

على متابعة الوقف، وتسيير شؤونه، ولو تتبعنا الأمر لخرج إلينا نماذج كثيرة تبين مكنتها الإدارية، وقدرتها على التصرف بحكمة، وتحمل المسؤولية.

آفاق الوقف عند المرأة الأحسائية

إن آفاق الوقف واسعة وكبيرة جداً – وهي تشمل جميع نواحي الحياة – لا يمكن حصرها أو تقييدها. وإذا ما حصل شيء من هذا القبيل فهو نابع من ضعف إدراكنا لرحابة الوقف، فتضييقنا على أنفسنا، يبدو واضحاً في حصرنا الوقف في جوانب محدودة، لا تتجاوز القضايا الدينية، وتلاوة القرآن الكريم ووقف الذرية، وبعض القضايا الاجتماعية. إلا أنه مع ذلك فقد كان للمرأة الأحسائية آفاق جيدة للوقف ومجالات العطاء فيه، وجميعها نابعة من طبيعة الثقافة السائدة في مجتمعنا الأحسائي، ومن أبرزها:

الوقف على مناسبات عاشوراء:

تحتل أوقاف المناسبات الدينية في محرم الحرام ، وغيره من المناسبات الدينية مواليد ووفاة الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله ، وذريته من الأئمة عليهم السلام ، الصدارة في عدد الموقوفات لها، وهذا أمر بيناه من خلال الإحصائيات السابقة، وهو نابع من التعلق بالشعائر الدينية، ومن الطبيعة المتدينة التي تميزت بها المنطقة، وتعطينا الوثائق وسجلات المحكمة الجعفرية كمًّا هائلاً من هذه الأوقاف التي تشكل بعداً دينياً وإدراكاً بالمسؤولية الدينية عند المرأة، وأنها نصف المجتمع ينبغي عليها، بدورها، أن تسهم في إعماره دينياً، وعقدياً، وقد تمكنا من تقصي مجموعة من الأوقاف الحسينية، ووفيات الأئمة عليهم السلام.

إلا أن القضية الحسينية والإمام الحسين عليه السلام يحتل نصيب الأسد من جميع الأوقاف ، وهي التي تبذل في عاشوراء الحسين من إطعام وغيره ، وهذا نابع من المكانة الدينية الكبيرة التي جعلها رسول الله للحسين عليه السلام ، وفضل البكاء عليه ، فقد استفاضت الروايات عن الرسول والأئمة المتعلقة بالإمام عليه السلام ، جعل الواقفين

يتسابقون في بذل الغالي والنفيس في سبيل حب الحسين عليه السلام ، وإقامة مجالس العزاء عليه ، ومن هذه الروايات :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "حسين مني وأنا من حسين، أحب الله من أحب حسينا.. حسين سبط من الأسباط ".

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال : " من ذُكرنا عنده ففاضت عيناه ولو مثل جناح الذباب غفر الله له ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر " .

وفي رواية أخرى عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال للفضيل : " تجلسون وتتحدثون ؟ فقال : نعم، فقال : إن تلك المجالس أحبها ، فأحيوا أمرنا ، فرحم الله من أحيى أمرنا، يا فضيل من ذَكرنا أو ذُكرنا عنده ففاضت عيناه ولو مثل جناح الذباب غفر الله له ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر " .

وقال الإمام الرضا عليه السلام : " من تذكر مصابنا فبكى وأبكى لم تبك عينه يوم تبكي العيون ، ومن جلس مجلسا يحيى فيه أمرنا لم يمت قلبه يوم يموت القلوب " .

قال الرضا عليه السلام : " فعلى مثل الحسين فليبك الباكون ، فإن البكاء عليه يحط الذنوب العظام .ثم قال عليه السلام: كان أبي عليه السلام إذا دخل شهر المحرم لا يرى ضاحكا ، وكانت الكآبة تغلب عليه حتى تمضي عشرة أيام ، فإذا كان يوم العاشر كان ذلك اليوم يوم مصيبته وحزنه وبكائه ويقول : هو اليوم الذي قتل فيه الحسين عليه السلام .

هذه الروايات وغيرها ساهمت في جعل المرأة الأحسائية تسهم في الوقف الحسيني بدرجة كبيرة ، فكان من أوقاف المرأة الأحسائية للقضية الحسينية :

أوقاف آمنة بنت عبد الله البغلي التي أسهمت بتوقيف العديد من الأوقاف لمناسبة عاشوراء الحسين عليه السلام منها:

- بيتها الشرقي الكبير الكائن بفريق الجاحفة تابع الرفعة بالإضافة إلى سهمين من العقار المسمى (السبخة) نخل البغلي الكائن موقعه بطرف الرفعة (ساقية عين شبيب)،

و(عين أبوهلال)، وذلك على تعزية أبي عبد الله الحسين في عشرة المحرم، وأيام الأسبوع طوال السنة وتاريخ الوقف ١٧ ربيع الثاني لسنة ١٢٦٤هـ.

- وقفت وأبّدت سبعة عشر سهماً من عامة خمسين سهماً من شرب مسلم، وشرب (السروال) الكائنين بطرف (الموازن)، وقفاً لأبي عبد الله الحسين، مع ثلثين من عامة سبعة عشر سهماً من شطيب (برقا) وقفاً لأبي عبد الله الحسين، على أن تقرأ تعزية طوال السنة، وهي من موقوفات سنة ١٢٦٤هـ[١].

- كما أوقفت الربع الشايع من البيت الغربي الكائن بمحلة (الحجاحفة) بالفوارس وقفاً لأبي عبد الله الحسين على قراءة تعزية يوم الجمعة، وقد شهد بذلك أحمد بن محمد البغلي، وصالح بن أحمد أبو خميس، والشيخ محمد بن علي المازني، وقعت الوقفية في غرة ذي القعدة سنة ١٢٨٣هـ[٢].

وهناك العديد من الأوقاف المهمة منها وقف مريم بنت عبد الله آل عيسى، فقد: " أوقفت وحبست جميع وجملة ما تستحق من النخل المسمى بـ (الأسداس) مزرعة الأرز الكائن في طرف البطالية ساقية الجوهرية... على أن يصرف حاصله في مأتم أبي عبد الله الحسين بن أمير المؤمنين عليهما السلام... وجعلت الولاية لها مدة حياتها ومن بعدها لابنها علي بن محمد سالم أبي فراج " ، شهد بما فيه السيد هاشم بن أحمد بن حسين الموسوي، وقد وقعت الوقفية في شهر ربيع الأول سنة ١٣٠١هـ[٣].

ومن الأوقاف التي حبستها المرأة الأحسائية لمناسبات عاشوراء الحسين عليه السلام وقف آمنة بنت محمد بن مشاري من قرية الجفر، فقد وقفت الشطيب المعروف بـ (شطيب العمارة القبلي) الكائن بطرف قرية (الساباط) ونص الوقفية: >وقفت النجل المذكور لسيد الشهداء وقفاً مطلق الوقت والمكان من غير اشتراط وقت معلوم، ولا مكان معلوم وقفاً

[١] مجموعة وثائق فؤاد بن جواد البغلي .
[٢] مجموعة وثائق الأستاذ فؤاد بن جواد البغلي
[٣] مجموعة أحمد البدر الوثائقية .

مؤبداً مخلداً حتى يرث الله الأرض ومن عليها، قربة إلى الله تعالى>، حررت في رجب سنة ١٣٢٥هـ، وقد سجلت الوقفية على يد الشيخ عمران بن حسن السليم[١].

ونموذج آخر من الوقف على مناسبات أهل البيت عليهم السلام وللمرأة دور فيه وقف علي أبو عذاب وزوجته مريم بنت أحمد.

الوقف: مستحقهما من بيت فنوس، الكائن بفريق الجنوبي من البطالية.

الموقوف له: أبو عبد الله الحسين عليه السلام تصرف أجرته في عشرة محرم.

تاريخ الوقف: جمادى الثاني لعام ١٣٣٦هـ.

كاتب الوقف: الشيخ عمران بن حسن السليم.

ومنها وقف فاطمة بنت حسن البقشي، وهي زوجة الزعيم والمرجع الديني الشيخ موسى بن عبد الله آل أبي خمسين (١٣٥٣هـ)، حيث أوقفت جزءًا من مزرعة (الماجدي) على مناسبات عاشوراء[٢] .

وهناك، أيضاً، وقف الحرة المصونة مدينة الخميس، سنة ١٣٨٩هـ، المزرعة المعروفة بـ (القرينة) الواقعة في قرية (بني معن) المجعولة على إطعام في محرم.

ومن الأوقاف العاشورية للمرأة الأحسائية ، وقف فاطمة الغريب من مدينة الهفوف التي أوقفت سنة ١٣٨٩هـ، ثلاث مزارع وهي (عرجان، الوعي، ربع الضاحية)، وجميعها في قرية (البطالية)، وجعلت ريعها على إطعام في عاشوراء.

كما أوقفت المرأة مريم البراهيم سنة ١٣٨٩هـ، بيت في مدينة الهفوف بمحلة الكوت، على أن يصرف إيجار البيت في شهر محرم الحرام بمجالس التعزية الحسينية من كل عام.

ومن الأوقاف للإمام الحسين عليه السلام، ما أوقفته عبدة علي بنت أحمد بن محمد الحرز، وهو المنزل الذي باسمها الكائن بمحلة الفاضلية بالهفوف على مناسبات عاشوراء

---

[١] مجموعة وثائق أحمد البدر .

[٢] لقاء مع الحاج حسن بن علي البقشي (ابو منير) في ٢٧ محرم سنة ١٤٣٢هـ .

الحسين عليه السلام، والوقف عبارة عن منزل على الحسينية (الزينبية) التي أسسها زوجها على بن حسن الحرز سنة ١٣٩٨هـ، والوقفية في حدود سنة ١٤٠٧هـ.

كما أوقفت الحاجة سلامة بنت حسن بن علي الحرز سهمها من الدكان الكائن في حي الكوت، وجعلت ريعه يصرف على مجالس عاشوراء في محرم الحرام.

كما أوقفت زينب بنت علي البقشي حسينية في محلة النعاثل بالهفوف تعرف الحسينية (الزينبية)، وذلك حدود سنة ١٣٦٠هـ[١]، وهي مخصصة لإحياء ذكرى عاشوراء في كل عام.

هذه النماذج وغيرها لا تشكل إلا عينة بسيطة للموقوفات على مناسبات عاشوراء، تعكس مدى ارتباط المرأة الأحسائية بالقضية الحسينية ، واعتقادها بأهميتها ، وهو يكشف عن الطبيعة الولائية لأهل البيت عليهم السلام في منطقة الأحساء ، حتى أصبح الوقف على مناسبات أهل بيت العصمة الخيار الأول للوقف ، وصاحب نصيب الأسد من مجمل الأوقاف في المنطقة .

الوقف على قراءة القرآن الكريم

قال تعالى : (وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا * إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاء وَلا شُكُورًا * إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا * فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا)[٢] .

تواترت الروايات عن أهل بيت النبوة على فضل القرآن وقراءته ، بما تعده بالدرجات الرفيعة عند الله ، وهي كثيرة نذكر منها :

روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : (أهل القرآن في أعلى درجة من الآدميين ما خلا النبيين والمرسلين ، فلا تستضعفوا أهل القرآن وحقوقهم ، فإن لهم من الله لمكاناً) .

---

[١] المصدر نفسه .
[٢] سورة الإنسان : ٨ – ١١ .

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم : (من قرأ عشر آيات في ليلة لم يُكتب من الغافلين ، ومن قرأ خمسين آية كُتب من الذاكرين ، ومن قرأ مائة آية كُتب من القانتين ، ومن قرأ مائتي آية كُتب من الخاشعين ، ومن قرأ ثلاثمائة آية كُتب من الفائزين ، ومن قرأ خمسمائة آية كُتب من المجتهدين ، ومن قرأ ألف آية كُتب له قنطار ، والقنطار خمسمائة ألف مثقال ذهباً والمثقال أربعة وعشرون قيراطاً ، أصغرها مثل جبل أحد ، وأكبرها ما بين السماء والأرض) .

وعن أمير المؤمنين عليه السلام : (البيت الذي يُقرأ فيه القرآن ويُذكر الله عز وجل فيه ، تكثر بركته ، وتحضره الملائكة ، وتهجره الشياطين ، ويضيء لأهل السماء كما تضيء الكواكب لأهل الأرض ، وإن البيت الذي لا يُقرأ فيه القرآن ولا يُذكر الله عز وجل فيه ، تقل بركته وتهجره الملائكة ، وتحضره الشياطين) .

هذه الروايات حفزت المؤمنين على إيقاف أملاكهم على قراءة القرآن ، وتلاوته رغبتاً والأجر والثواب بعد الموت ، والمرأة الأحسائية ساهمة في وقف القرآن وتلاوته بدرجة كبيرة ، حتى أصبح القرآن مصدراً من مصادر الرزق لدى الكثير من الناس، معتمدين على الأوقاف الكثيرة على تلاوته، وتثويب ما يقرأ على الموتى، وقد شجع مثل هذا النوع من الأوقاف الانتشار الواسع للكتاتيب المختصة بتعليم القرآن الكريم، والتي يرتادها آلاف الأطفال ذكوراً وإناثاً، ويقود مسيرتها مئات المعلمين والمعلمات، وهي منتشرة في جميع مناطق وقرى الأحساء، منها كان الوقف القرآني يحتل نسبة مقبولة بين الأوقاف الأحسائية، وكان للمرأة نصيبٌ منها، وعلى سبيل المثال وقف المرأة آمنة بنت عبد الله البغلي ونص وثيقته: >أوقفت وحبست جميع وجملة مستحقها من (شطيب برقا) بطرف الخدود على أن يقرأ لها في كل يوم جزء من كتاب الله، ويصلى عنها مدة حياتها النوافل اليومية... ولا يقرأ ويقوم بهذه الأعمال إلا العلماء من الشيعة الإثني عشرية، عالم بعد عالم، فهم الوكلاء على ذلك، ولهم النظارة في حياتها، وبعد وفاتها... وقد تمت الوقفية في السابع عشر من شهر ربيع الثاني عام ١٢٦٤هـ[١].

[١] مجموعة وثائق فؤاد بن جواد البغلي ، مصدر سابق .

– وقف كلثم بنت حسن البغلي[1]، ونصه وثيقته: (قد أوقفت وحبست وأبَّدت ثمين ونصف الثمين من النخل المعلوم الكائن بطرف الرفعة على ساقية الخدود المسمى بـ (العظيمي) على أن يقرأ لها كل يوم من الأيام جزء من كتاب الله المجيد، وسورة تبارك الذي بيده الملك (الملك)، وسورة ياسين... وقد وقعت الوقفية غرة جمادى الثانية سنة ١٢٧٢هـ، شهود الحال حسين ولد محمد البغلي، وابنه محمد وأحمد بن محمد البغلي"[2].

– وقف السيدة مريم الجبيلي، من أهالي قرية الجبيل لجزء من ريع مزرعتها الكائنة في قرية الشهارين التي تسمى بـ (مليعبة)، وقد جعلت وقفيتها على: " قراءة ثلاثة أجزاء من القرآن، وسورة يس، والباقي من ريعه على أعمال البر ".

الوقف على الفقراء والمساكين

فقد ورد في الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال : (خيركم من اطعم الطعام ، وافشى السلام ...) .

وورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله قوله : (ما آمن بي من أمسى شبعاناً وأمسى جاره جائعاً) .

وفي الحديث أن علياً أمير المؤمنين عليه السلام كان يقول : (إنا أهل بيت أمرنا أن نطعم الطعام ، ونؤدي في النائبة ، ونصلي إذا نام الناس).

وعن أبي الحسن الرضا عليه السلام إذا أكل أتي بصفحة فتوضع بقرب مائدته فيعمد إلى أطيب الطعام مما يؤتى به فيأخذ من كل شيء منه شيئاً فيوضع في تلك الصفحة ثم يأمر للمساكين ثم يتلو : (فَلا اقتَحَمَ العَقَبَةَ) الآية.

ومما ورد عن الإمام أبي جعفر عليه السلام قال : (من اطعم جائعاً أطعمه الله من ثمار الجنة) .

[1] وهي والدة آمنة بنت عبد الله البغلي التي ورد ذكرها .
[2] مجموعة وثائق فؤاد بن جواد البغلي ، مصدر سابق .

وفي الرواية عن الإمام أبي عبد الله عليه السلام قال : (من اطعم مؤمناً حتى يشبعه لم يدر أحد من خلق الله ما له من الأجر في الآخرة لا ملك مقرب ولا نبي مرسل إلاّ الله رب العالمين . ثم قال : من موجبات المغفرة إطعام المسلم السغبان ، ثم تلا قول الله عز وجل : (اَو اِطعامٌ في يَوم ذي مَسغبةٍ يَتيماً ذا مَقربةٍ أو مسكيناً ذا مَتربةٍ) .

وأيضاً عن أبي عبد الله عليه السلام قال : (من اشبع كبداً جائعاً وجبت له الجنة).

كل هذه الروايات والعشرات غيرها جاءت لتؤكد مما لإطعام الفقراء والمساكين من منزلة عند الله ، وهي من سنن الله التي وعد عبادة بالمقام الرفيع لفاعليها ، وهي مؤشر وعي ، وحس جمعي لدى الإنسان المؤمن .

وكانت المرأة الأحسائية تستشعر بمن حولها وما يعانونه من فقر وعوز، والصدقة وإن كانت حسنة إلا أنها لا تدوم، ولا تستمر كالعمل الوقفي الذي من أهم خصائصه الديمومة التي تكفل للفقير العطاء الدائم، والوقف الأحسائي النسائي من هذا القبيل تميز بالتنوع واختلاف المناطق.

ومن أقدم الوثائق التي استطعنا العثور عليها في مجال مساعدة الفقراء ما أوقفته الحرة المصونة أم الخير آل حميدي فقد جاء فيها: " أوقفت بيتها الذي في حوش آل بن شكر وحبسته على طعام للفقراء بأن يؤجر ويشترى بأجرته طعام ويصرف على الفقراء وقفاً صحيحاً "، وقد جعلت الولاية على ذلك لأمها، والوقفية وقعت في التاسع من شهر شوال سنة ١٢٥٠هـ.

كما كان في ضمن ما أوقفته المرأة المتميزة الحاجة آمنة بنت عبد الله البغلي بما مقداره (منًّا) من التمر سالماً من التبعات للفقراء والمساكين، وذلك ضمن الوقف الذي أنشأته سنة ١٢٦٤هـ.

وما أوقفته فضة أبو حليقة من أهالي الهفوف سنة ١٣٨٩هـ، حيث أوقفت مزرعة لها في قرية الجبيل تسمى (الصدقة) على مساعدة الفقراء من أبناء الأسرة.

فهو نابع من إدراكها لحال ذويها وأبناء عمومتها من الفقر فأرادت أن تسهم في رفع الحاجة والضيم عنهم.

الوقف على إعمار وصيانة الكتب

من الأمور الجميلة الرائعة للوقف، التي تشكل أهمية، وتحمل في طياتها دلالة وعي وبعد نظر، إيقاف الكتب والمصاحف وهي تعد من أهم مصادر المعرفة، وبناء الثقافة الدينية، وهو الحقل الذي تعددت الأوقاف حوله، وأكثر الناس عناية واهتماماً به رجال العلم الذين يدركون أهمية الكتاب وقيمته.

أما الوقف على حفظ وصيانة الكتب، والمصاحف فلم يحظ بنصيب من لدن الواقفين في منطقة الأحساء إلا بشكل محدود جدًّا، مما يجعل الكتب عند تعرضها للتلف محل إهمال ولامبالاة.

إلا أن المرأة الأحسائية كان من آفاق وقفها ودعمها للعمل الوقفي وتحقيق رسالته الهادفة الكبيرة الوقف على إعمار المصاحف والكتب، فقد أوقفت المرأة المؤمنة آمنة بنت عبد الله البغلي جزءًا من أوقافها على (عمران الربعة، وعمارة الكتب) في ضمن وقفها المزبور سنة ١٢٦٤هـ[١].

الوقف على أردية الجنائز

من الأوقاف التي تعكس حاجة الفقراء في القرن الثالث عشر الهجري في الأحساء، والضعف الذي بلغه ذوو العوز، هو الوقف على لوازم الجنائز، وحوائج الموتى، وهي أمور متعددة، منها الكفن، وأدوات الحفر، وأردية الموتى، وهي أوقاف نابعة من الواقع، وما يعانيه الفقراء في تحضير وتجهيز جنائز موتاهم، وليس من الترف أو السطحية الفكرية، وإنما هو بيان لمدى الوعي والحس الاجتماعي بعلل ومقاصد الشريعة التي من أسمى أهدافها دعم ومساعدة المحتاج بما يحفظ عزته ويبقي على كرامته.

[١] مجموعة وثائق فؤاد بن جواد البغلي .

وقد كان للمرأة الأحسائية، على يد المرأة صاحبة الوعي المتميز آمنة بنت عبد الله البغلي التي أوقفت في معرض موقوفاتها لسنة ١٢٦٤هـ، وقفاً يصرف بعض ريعه على أردية جنائز الموتى[١].

خاتمة

رغم قلة الأوقاف التي رصدناها نتيجة لشح الوثائق، وعدم وجود مراكز للمعلومات يمكن أن تساعد على تقصي الأوقاف، ومعرفة طبيعة مسيرتها في الأحساء، فما بين أيدينا يبين أن المرأة الأحسائية كانت تمتلك الوعي الكافي لتبرز الآفاق الواسعة لديها في العمل الوقفي.

فقد رأينا أن الوقف للمرأة الأحسائية متعدد الآفاق، ويتناول القضايا الدينية؛ كالوقف الحسيني والوقف القرآني، ومنه الاقتصادي والاجتماعي الناظر لحاجة الفقراء والمساكين، بما يحفظ لهم كرامتهم، ومنه الوقف العلمي والثقافي المخصص لحفظ الكتب والمصاحف وصيانتها، إدراكاً لأهمية العلم وقيمته، ومن بين هذا وذاك كشفت المرأة عن ثقتها في قدراتها الإدارية على تسيير الوقف والعمل على ديمومته وتحقيق رسالته.

[١] نفس المصدر .